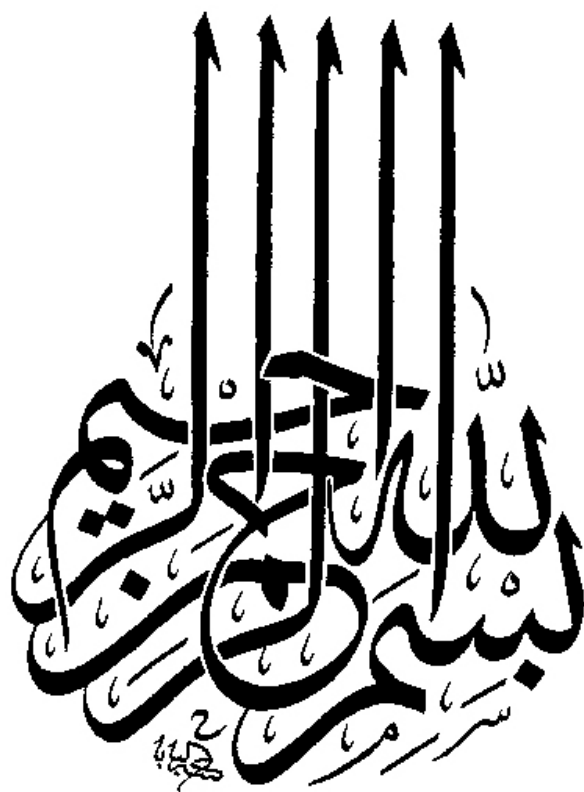


المساواة في الإسلام

اعداد
أُمير بن محمد المدرسي



فهرس المحتويات

3	فهرس المحتويات
5	المساواة في الإسلام
5	المقدمة
7	مفهوم المساواة في الإسلام
7	المساواة في نصوص الكتاب والسنة
8	المساواة لغة
10	المساواة اصطلاحاً:
10	الفرق بين العدالة والمساواة:
13	أنواع المساواة في الإسلام:
14	أ- المساواة في القيمة الإنسانية :
15	هل المساواة في القيمة الإنسانية ينافي التفاضل بين الناس ؟
17	ب- المساواة أمام الشريعة :
18	ج- المساواة أمام القضاء:
18	د- المساواة بين المسلمين وأهل الذمة
21	من أبرز صور المساواة في الإسلام:
25	المساواة مبدأ الإسلام الأصيل :

32	مجالات المساواة
35	العصية العمياء:
39	فوائد العدل والمساواة:
40	الحوثين و داء العنصرية والعصية:
41	عقيدة الحوثي في أبي كر وعمر والصحابة:
43	موقف الحوثي من أهل السنة
44	من صور العنصرية والعصية لدى الحوثيين:
52	نداء للهاشميين من آل البيت:
53	من جرائم الحوثي وأتباعه

المساواة في الإسلام

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه الكريم هدى للمتقين، وعبرة للمعتبرين، ورحمة وموعظة للمؤمنين، ونبراساً للمهتدين، وشفاءً لما في صدور العالمين، أحمدُه ﷻ على آلائه، وأشكره على نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحيا بكتابه القلوب، وزكى به النفوس، هدى به من الضلالة، وذكر به من الغفلة، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الذي كان خلقه القرآن فصلوات الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما فيها من القول والعمل، ورضي الله عن جنده وحزبه، ومن ترسم خطاه وسار على نهجه، ما تعاقب الجديدان، وتتابع النيران، وسلم تسليماً كثيراً. وبعد:

يُعد مبدأ المساواة في الإسلام مفتاحاً واحداً من مفاتيح الحضارة الإنسانية وأداة قوية في انبعاثها وازدهارها على مدى التاريخ^(١). وقد شرف النبي الكريم [^] تاريخ البشرية بأروع المثل في تكريس المساواة بين البشر، وينظر المؤرخون قاطبة إلى خطبة الوداع النبوية على أنها أعظم إعلان تاريخي عن مبدأ المساواة القدسي بين البشر حيث يسجل المصطفى [^] أعظم انجاز في الحب الإنساني والتسامح والمساواة إذ يعلن [^] قائلاً: «كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولأحمر على أبيض، ولا أبيض على أحمر، فضل إلى بالتقوى»^(٢)، وجاء القرآن ليشكل

(١) عبد الله علوان، معالم الحضارة في السلام، دار السلام للطباعة والنشر، حلب، 1993، ص25

ينبوع كل أصالة فكرية وكل منهج حكيم في الإعلان عن قيم الحق والمساواة بين البشر ، يقول رب البشر: * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ & [الحجرات: 13].

ويعلم المولى جل وعلا هذا الحب الشامل في أقدم آيات التسامح الإنساني بقوله تعالى: * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا & [النساء: 1]

وقال عليه الصلاة والسلام في تأكيد مبدأ الإخاء الإنساني بين المسلمين قانوناً ربانياً يحكم المؤمنين والمسلمين إذ يقول صاحب القول المبين كما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، ولا يخذله. مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (٣)، «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (٤)

وإذا كانت العدالة خلقاً فإن المساواة قيمة حضارية عليا ، وهدف أسمى. ولقد تميز الإسلام بهذه القيمة الإنسانية الحضارية ، والتي عجزت جميع النظم الحديثة والمنظمات الدولية عن تحقيقها ، وقد أعلنها النبي ^٨ وطبقها في واقع المسلمين، وبذلك يكون قد

(٢) وأخرجه أحمد (411/5) وصححه الألباني في السلسلة (2700).
(٣) أخرجه البخاري في المظالم (2442)، ومسلم في البر (2580) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (2699) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خرج للبشرية أعظم جيل عرفته الإنسانية على الإطلاق ، فالمساواة قيمة عظيمة . ما أجملها ؟ ! وما أعظمها ؟ ! وما أروعها ؟ ! وإذا طبقت في واقع الناس فإنهم يشعرون بالأمن والطمأنينة والراحة والسعادة.

مفهوم المساواة في الإسلام

المفهوم الذي قرره الإسلام للمساواة هو عدم التفرقة بين الناس في الحقوق والواجبات على أساس عرقي، أو قبلي، أو إقليمي، أو طبقي، أو اقتصادي، إلى غير ذلك من الأمور التي هي خارجة عن إرادته وسعيه.

المساواة في نصوص الكتاب والسنة

إن نصوص القرآن وصحيح السنة النبوية ناطقة بمبدأ المساواة، ومقررة له على أكمل وجه وأحسنه.

قال تعالى: * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ & [الحجرات: 13].

يبين الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية إلى أن أصل الإنسانية كلها واحد، وأن اختلاف الأعراق والقبائل والألوان لغاية هي التعارف، وأن معيار التفاضل إنما يكون بالتقوى التي هي موضع اختيار الإنسان وسعيه، وليست مفروضة عليه كانتمائه لشعبه ولقبيلته.

وقال تعالى: * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ & .

وفي هذه الآية الكريمة بيان أن المؤمنين إخوة، ومقتضى هذا الوصف المساواة، إذ الأخ مساو لأخيه، فلا يفخر أحدهما على الآخر بنسب أو خلافة .

وجاء في الحديث الصحيح قول المصطفى ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ،

وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(٢).

وفي حجة الوداع قال ٣ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٣).

وقال ٨ : «لَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا مِنْ بَطْأٍ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(٣)

إن هذه النصوص وغيرها كثير تؤكد على حقيقة أن المساواة بمفهومها الإسلامي قاعدة من قواعد هذا الدين العامة.

والتأمل في النصوص السابقة يجد أن معيار التفاضل هو التقوى وما يتفرع عنها من أمور أو يلتحق بها، كالإنفاق في سبيل الله، وتعلم القرآن وتعليمه، وحسن الخلق.

المساواة لغة:

مصدر قولهم: ساواه يساويه إذا عادله، قال الراغب: المساواة هي المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن والكيل، يقال: هذا الثوب مساو لذاك الثوب، وهذا الدرهم مساو لذلك الدرهم، (وهذا التمر مساو لهذا التمر)^(٥) ، وقد يعتبر بالكيفية، ولا اعتبار المعادلة التي فيه (أي في لفظ السواء) استعمال استعمال العدل، وتسوية الشيء (بالشيء) جعلهما سواء، إما بالرفعة

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (2564).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (411/5) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2700)

(٣) متفق عليه

(٥) المصباح المنير (2/ 44-45)، وانظر لسان العرب (5/ 2838-2839).

وإمّا بالضّعة، والسّويّ: يقال فيما يَصان عن الإفراط والتّفريط من حيث القدر والكيّفة (٦)، وقال ابن منظور: سواء الشّيء مثله، وجمعه أسواء، قال الشّاعر:

النّاس أسواء وشتّى في الشّيم

ويقال أيضًا: سيّ الشّيء - كما يقال عدّه وعديده أي مثله، وسوى (بالقصر) يكون بمعنيين: يكون بمعنى نفس الشّيء، وبمعنى غير، وقولهم: سواسية، وسواس وسواسوة، كلّها جمع سواء من غير لفظه، وهم سواسية إذا استووا في اللّؤم والخسّة والشرّ. (٧)، وأمّا قوله ^٨: «النّاس بخير ما تباينوا فإذا تساوا هلكوا» فالمعنى كما قال ابن الأثير: إنّهم يتساوون إذا رضوا بالتّقص وتركو التّنافس في طلب الفضائل، وقد يكون ذلك خاصّا في الجهل، وذلك أنّ النّاس لا يتساوون في العلم، وإنّما في الجهل، وقيل أراد بالتّساوي: التحزّب والتّفريق» (٨).

وقال ابن منظور: «وأصل هذا التّساوي في الشرّ لأنّ الخير إمّا يكون في النّادر من النّاس، فإذا استوى النّاس في الشرّ ولم يكن فيهم ذو خير هلكوا». (٩)

(٦) المفردات للراغب (باختصار وتصرف) ص 366- 367 «.

(٧) «لسان العرب 14/ 410 (ط. بيروت)

(٨) «باختصار عن النهاية 2/ 427».

(٩) «لسان العرب 14/ 409».

وقال الفيروز ابادي: يقال: استوى الشَّيْءَانِ، وتساويا (تماثلا) وساوى أحدهما صاحبه، وساوى بين الشَّيْئَيْنِ، وسَوَّى بينهما، وساويت هذا بهذا وسَوَّيته به، وهما سيَّان أي مثلان، ولا سيَّما زيد أي لا مثيل زيد و«ما» زائدة وفلان وفلان سواء أي متساويان (١٠).

المساواة اصطلاحاً:

تعني المساواة - في المجال الأخلاقي - أن يكون للمرء مثل ما لأخيه من الحقوق وعليه مثل ما عليه من الواجبات دون زيادة أو نقصان. قال ابن مسكويه «وأقل ما تكون المساواة بين اثنين، ولكنها تكون في معاملة مشتركة بينهما في شيء ما أو أكثر». (١٢) والمساواة قيمة لا تنقسم ولا يوجد لها أنواع، وهي أشرف نسب العلاقات بين الأشياء، لأنها هي المثل بالحقيقة. (١٣) أي أنها تجعل كلا طرفيها للآخر سواء بسواء.

الفرق بين العدالة والمساواة:

المساواة هي الغاية التي تسعى العدالة إلى تحقيقها، وهي الغاية المرجوة منها، والعدل - في مجال الحكم - هو الحاكم بالسوية لأنه يخلف صاحب الشريعة في حفظ المساواة (١٤).

(١٠) «القاموس المحيط 1673 (ط. بيروت)،»

(١٢) «تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص 105.»
(١٣) المرجع السابق، ص 93.

(١٤) المرجع السابق، ص 98

ومن هنا فقد جاء في تعريف العدل أنّه القسط اللازم للاستواء (١٥) (أي لتحقيق المساواة بين الطرفين دون زيادة أو نقصان)، وإذا كانت العدالة خلقاً فإنّ المساواة قيمة وهدف. ولما كانت العدالة خلقاً أو هيئة نفسانية تصدر عنها المساواة فقد اقترن الأمران وارتبطا ارتباطاً وثيقاً، لأنّ العادل من شأنه أن يساوي بين الأشياء التي هي غير متساوية، لما كان الأمر كذلك فإنّ كليهما قد يستعمل استعمال الآخر تسامحاً، ولكنهما غالباً ما يستعملان معاً.

تعد المساواة فرعاً عن العدل، والكلام عنهما مرتبط ببعض؛ ولكن بينهما فرق، فالمساواة بين الأشياء المختلفة قد يكون ظلماً، والقول بتعميم المساواة من دون مراعاة للفروق بين الأطراف، مجانب لمقتضى العدل.

فليس من العدل تحقيق مساواة مطلقة بين البشر، إذ من الظلم أن تساوي بين المكافح والكسول، أو بين الصادق والكاذب، أو بين المخلص والخائن، أو بين المؤمن والكافر، ولكن المطلوب من منظار الإسلام أن تكون المساواة بين الصادق ومثيله، والمكافح ومثيله، والمخلص ومثيله، والكافر ومثيله، فهذه المساواة عادلة غير ظالمة^{١٦}.

فميزان العدل الصحيح هو التسوية بين حقوق المرء وواجباته، فليس من العدل أن تسوي بين اثنين مختلفين في الحقوق والواجبات والقدرات، ذلك هو الظلم بعينه؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه.

ويخطئ كثير من الناس عندما يقول أو يظن بأن الإسلام دين المساواة المطلقة، والصحيح أن الإسلام دين العدل وليس المساواة المطلقة. فالمساواة المطلقة فتح للباب على

(١٥) تهذيب الأخلاق للجاحظ، ص 28.

مصراعيه وهو عبث، بل يصادم نصوص الشرع الصريحة الواضحة التي تنفي المساواة بين بعض الأشياء، مثل قوله تعالى: *أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ&، وقوله تعالى: *وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى&، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أخطأ على الإسلام من قال: إن دين الإسلام دين مساواة، بل دين الإسلام دين العدل، وهو الجمع بين المتساويين والتفريق بين المختلفين". وقال أيضاً: "لم يأت حرف واحد في القرآن يأمر بالمساواة أبداً، إنما يأمر بالعدل" انتهى. بمعنى: إذا فرق الشرع بين أمرين فهو العدل، وإذا ساوى بينهما فهو العدل. وقد ترتب على التوسع في مفهوم المساواة آثار خطيرة جداً تناقض أصولاً، وتناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ويمكن إجمال أهم الفروق بين العدل والمساواة في الآتي:

أولاً: إن العدل في الشرع مأمور به ومرغَّب فيه مطلقاً في كل مكان، ومع أي شخص كان. قال الله تعالى: *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ& [النساء:135]، وقال تعالى: *إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ& [النحل:90]. أما المساواة فمنفية في بعض المواضع، كقوله تعالى: *أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ& [السجدة:18].

ثانياً: إن العدل يشمل التسوية والتفريق وكلاهما موجود في الشريعة. أما المساواة فهي تشمل التسوية فقط، فالإسلام دين العدل وليس المساواة المطلقة، لأن المساواة قد تقتضي التسوية بين شيئين الحكمة تقتضي التفريق بينهما.

ومن أجل هذه الدعوة الجائرة إلى التسوية صاروا يقولون: أي فرق بين الذكر والأنثى؟! حتى إن الشيوعية قالت: أي فرق بين الحاكم والمحكوم، لا يمكن أن يكون لأحد سلطان على أحد، حتى بين الوالد والولد، ليس للوالد سلطة على الولد، وهلمَّ جرّاً. لكن إذا قلنا بالعدل، وهو إعطاء كل أحد ما يستحقه، زال هذا المحذور.

وقد عبر النبي ^٨ في بعض المواضع عن المساواة بالعدل، وذلك لما جاءه بشير بولده النعمان، فقال لرسول الله ^٨: «إِنِّي أُعْطِيتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةٍ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أُعْطِيتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟». قَالَ: لَا. قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ!». قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ" (١٧). فمن العدل التسوية بين الزوجات في النفقة، ومن العدل التسوية بين الأولاد في العطية، ومن العدل التفريق بين الرجل والمرأة في الميراث والشهادة.

أنواع المساواة في الإسلام:

للمساواة في الإسلام أنواع كثيرة، يمكن حصرها وتطبيقاتها في الآتي :

(١٧) أخرجه البخاري في الهبة، باب: الإشهاد في الهبة (2587)، ومسلم في الهبات، باب: كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (1623) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

أ- المساواة في القيمة الإنسانية :

جاء الإسلام ووجد الناس يتفاضلون في الخلق والنشأة ، ويتميزون في الأحساب والأنساب ، ويتقاتلون للحمية والعصبية ، ناسين أنهم من أصل واحد ومصدر واحد . فقد كان الهنود البراهميون يقرون التفاضل في القيمة الإنسانية ، وأنهم يفضلون غيرهم في ذلك . أما اليونان فقد كانوا يعتقدون أنهم شعب مفضل على سائر الشعوب وأنهم خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التي خلقت منها الشعوب الأخرى ، التي أطلقوا عليها اسم البربر . و أما الرومان فقد نصوا في كتبهم أن غير الرومان مجردون من جميع ما يتمتع به الرومان من حقوق ، وأنه لم يخلق غيرهم إلا ليكون رقيقا للرومان . وأما اليهود فقد اعتقدوا أنهم شعب الله المختار ، وأن الكنعانيين -بقية الشعوب الأخرى -شعب وضع بحسب النشأة الأولى ، وأن الله خلقه لخدمتهم . و أما العرب فقد رأوا أنفسهم أنهم أكمل شعب على الإطلاق وأن بقية الشعوب -التي سموها الأعاجم -شعوب وضيعة ناقصة الإنسانية . تلك هي الظاهرة الاجتماعية التي كان الناس يعانون منها ، ويقاسمون آلامها ، حيث فرقت البشر فرقتين ، فرقة الأشراف وفرقة العبيد .

المساواة في الإسلام : أما الإسلام فقد حرص كل الحرص على تقرير المساواة بين الناس في القيمة البشرية ، وعدها من الأمور الأساسية التي يجب أن يدين بها كل إنسان ربه ، فقد قرر أن الناس سواسية كأسنان المشط ، في أصل نشأتهم وتكوينهم ، وأنه لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى ، ولا بين العربي والأعجمي ، ولا بين الأبيض والأسود ، ولا بين السيد والعبد ، ولا بين الغني والفقير ، لأن هؤلاء جميعا ينحدرون من أصل واحد هو آدم ، وآدم

من تراب . و عن هذا النوع من المساواة ، نوه القرآن الكريم فقال تعالى : * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا & [الإسراء:70] والتكرم هنا شامل للجنس كله فجنس الإنسان مكرم عند الله بلا تفرقة بين مجموعة وأخرى ، بل كل مجموعة ينظر إليها بمنظار واحد هو الإنسانية فالإسلام لا يسمح بقيام نظام طبقي تسيطر فيه طبقة على أخرى ، كما لا يسمح بتحكم فئة تدعي لنفسها الاستعلاء بالبيئة أو العنصر أو اللون أو الجاه على الفئات الأخرى ، بل إنه ألغى كل سبب يدفع الإنسان إلى الاستعلاء والتحكم في الآخرين فقد قال تعالى * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا & [النساء:1] .

هل المساواة في القيمة الإنسانية ينافي التفاضل بين الناس ؟

التفاضل لا يمكن أن يقع في أصل النشأة والتكوين ، بأن يكون هناك فرد أفضل من غيره ، أو جماعة تفوق غيرها بحسب عنصرها الإنساني ، أو انحدارها من سلالة معينة ، بل إن آدم - عليه السلام وهو أول إنسان وجد على وجه الأرض - يساوي آخر إنسان ينفخ فيه الروح في تلك القيمة الإنسانية . فالتفاضل لا يجري فيما لا يملكه الإنسان كالخلق والتكوين ، وإنما يقع فيما يملكه ويندرج تحت قدرته وطاقته ، كفعل الخيرات وترك المنكرات ، فالإيمان بالله تعالى والصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوه من الأعمال الصالحة ، كلها أعمال يستطيع الإنسان القيام بها ، وأدائها على أحسن وجه ولذلك صح التفاضل

فيها بحسب عمل كل واحد منهم وأدائه لها . ، ولهذا فضل المسلم على الكافر لأنه أتى بالأعمال الصالحة التي يريدّها الله تعالى ، قال تعالى : * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ & [ص:28]، بل إن التفاضل في العمل يجري أيضا بين المسلمين أنفسهم كما قال تعالى : * لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا &، كما امتد هذا التفاضل أيضا إلى الأنبياء والرسل ، فكان بعضهم أولى من بعض ، وأعلى درجة من بعض ، قال تعالى : * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ &، فتفاضلهم ليس واردا على أصل خلقتهم وانتمائهم الإنساني ، ولكنه وارد على الأعمال الجليلة التي قاموا بها والرسالات السماوية التي تحملونها ، فمن بعث إلى قومه خاصة ليس كمن بعث إلى الناس كافة .

كيف تكون هناك مساواة وقد خلق الناس مختلفين أمة وشعبا ، ولغة ولونا ؟

نعم هذا الاختلاف موجود كونا ، وليس بمرعي شرعا ، فهو اختلاف تصنيف وتنوع للدلالة على قدرة الخالق جل وعلا ، الذي يتصرف في مخلوقاته كيف يشاء ، وليس اختلاف تفرق وعداء ولهذا وردت الحكمة من هذا الاختلاف ، في نفس الآية (ليتعارفوا) أي أن الاختلاف الكوني وجد ليتم بين الناس التعاون والتآلف ، والتآزر لمصلحة إنسانيتهم ، فيسعى كل واحد منهم لعبادة ربه وخالقه ، ومنفعة نفسه وبني جنسه فتنمو الإنسانية وتسعد بما يقدم لها أبناؤها من مواهب وقدرات إنمائية وحضارية وثقافية .

ب-المساواة أمام الشريعة :

إن الله تعالى استقل بالخلق والتشريع ليضع أرسخ قاعدة لكفالة حق الناس في المساواة أمام حكمه وشرعه ، وقطع بذلك السبيل أمام أي فرد أو فئة من الناس قد تدعي لنفسها الفضل والتميز عن غيرها ، وتذهب بالسيادة فتضع لغيرها من الأحكام ما تهواه ، ومن أنظمة الحياة ما تشتهيه ، سواء أضرها أم لا ، ولذلك اختص الله وحده بالتشريع ، كما اختص كذلك بالخلق والتكوين قال الله تعالى : * **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ &** وقال تعالى : * **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ &** ، وإنما اختص الله بالتشريع ، لأن التشريع يراد به إصابة الحق والعدل ، وعدم التحيز للهوى والشهوات ، والإنسان مهما وضع من نظم وقوانين ، فلا يمكنه إصابة الحق والعدل فيها على الدوام ، بل إن أصابه مرة ، أخطأه مرات ، لأنه تتحكم فيه الأهواء والنزعات ، ويتنابه النقص والقصور ، ولهذا امتلأ التاريخ البشري بأنواع كثيرة من الظلم ، في الأحكام التي صنعتها يد الإنسان ، أو تدخلت فيها أما كيف يتساوى الناس أمام الشريعة ، فذلك أن خطاب الشرع عام يشمل جميع الناس ، حكاما ومحكومين ، رجالا ونساء ، فالأوامر كلها كالصلاة والزكاة والصيام والحج ونحوه ، يطالب الجميع بأدائها والقيام بها ، فيطالب الراعي بالصلاة ونحوها ، كما يطالب بها المرعى ، وكذلك النواهي كالسرقة والزنا والقذف ، يطالب من الجميع الكف عن ذلك دون استثناء أحد ، وهذا معنى المساواة أمام الشريعة .

ج- المساواة أمام القضاء:

يعتمد القضاء في الإسلام على التشريع الإلهي ، فإذا كان الناس أمام التشريع سواء ، فهم عند تنفيذه كذلك سواء ، لا تفريق في ذلك بين القاضي والمقضي له ، والحاكم والمحكوم ، وكل إنسان في الإسلام تطاله يد القضاء كائنا من كان حين يقتضي الأمر ذلك ، وقد عمل بالمساواة أمام القضاء منذ عهد النبي [^] وعهد الخلفاء الراشدين ، فقد روت عائشة رضي الله عنها « أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حب رسول الله [^] ، فكلمه أسامه ، فقال رسول الله [^] : «أتشفع في حد من حدود الله ؟ » ثم قام فخطب فقال : «أيها الناس ! إنما أهلك الذين قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (١).

د- المساواة بين المسلمين وأهل الذمة

أهل الذمة : هم المعاهدون من أهل الكتاب ، ومن في حكمهم ، الذين يقيمون بدولة الإسلام ، وقد سموا بذلك ، لأن لهم حقوقا قبل المسلمين ، فعقد الذمة ، يمنحهم عهدا بإباحة إقامتهم على التأييد في دولة الإسلام ، كما يمنحهم الأمان على دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، أي حمايتهم من العدوان الخارجي ، أو التعدي الداخلي ، وعليهم في مقابل ذلك التزامات معينة . ولقد سوى الإسلام بين المسلمين وغيرهم ، في الحقوق العامة ،

(١) [رواه البخاري -3965- (201/13) ومسلم -3196- (54/9)].

وقرر أن الذميين لهم في بلد المسلمين ما للمسلمين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من الالتزامات ، سوى ما كان يتعلق منها بشئون الدين والعقيدة ، فلا توقع عليهم مثلاً : الحدود الشرعية فيما لا يجرمونه ، ولا يدعون للقضاء في أيام أعيادهم وهناك نصوص ووقائع كثيرة ، تدل على شرعية المساواة بين المسلمين وغيرهم . منها أن النبي ^ﷺ قال : « من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » ، ولقد خاصم يهودي علياً - ^{عليه السلام} - فحضر الخصمان فنادى عمر علياً بقوله : قف يا أبا الحسن - ليقف بجانب اليهودي - فبدأ الغضب على وجه علي ^{عليه السلام} فقال عمر ^{عليه السلام} : أكرهت أن نسوي بينك وبين خصمك في مجلس القضاء؟ فقال : لا ، ولكنني كرهت منك أن عظمتني في الخطاب وناديتني بكنتي .

ومن مظاهر التسوية بين المسلمين وغيرهم ما يلي :

المساواة في الانتفاع ببيت المال : فقد اتفق علماء المسلمين على أن للذمي حقا في بيت المال وأنه سواء مع المسلم في هذا الحق ، إذا صار شيخاً كبيراً ، أو عاجزاً عن الكسب والعمل وقد روي أبو عبيد عن سعيد بن المسيب « أن رسول الله ^ﷺ تصدق على بيت من اليهود ثم أجريت عليهم الصدقة من بعد » وكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز ^{عليه السلام} إلى عامله في البصرة - وهو عدي بن أرطاة - فقال : (وانظر من قبلك من أهل الذمة من كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه) وبهذا

كفل الإسلام كافة الحقوق الأساسية لرعايا الدولة الإسلامية ، دون تمييز ، فتعطي للذمي مثلما تعطي للمسلم .

2 / المساواة في التوظيف : يستطيع الذمي أن يتقلد الوظيفة في الدولة الإسلامية إذا كانت من وظائف السلطة التنفيذية ، كالمحاسب العام أو المهندس الأعلى أو ناظر البريد ، أو فوّه . ويستثنى من ذلك ، ما له صلة مباشرة بالعقيدة والدين ، فإن هذا لا يتولاه غير المسلم لخطورته في حياة الدولة الإسلامية . وتولية أهل الذمة المناصب الحكومية الإسلامية ، دليل واضح على المساواة في الإسلام ، والتزام المسلمين بتطبيقها ، مما جعل كتاب الغرب يشهدون للإسلام فضله ، وللمسلمين منقبتهم ، قال " متز " " من الأمور التي نعجب لها ، كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية " ، وقال آخر : « الواقع أن اليهود والنصارى لم يمنحوا حرية المعتقد الديني فحسب ، بل عهد إليهم تولي المناصب الحكومية حين كانت مؤهلاتهم الشخصية من القوة بحيث تلفت انتباه الحاكمين » .

3 / المساواة في الخراج : والخراج : ضريبة مالية وضعت على الأرض وتؤدي عنها لبيت مال المسلمين فإذا فتح المسلمون أرضاً " عنوة (وهي ما أجلي عنها أهلها بالحرب ولم تقسم بين الغانمين) تصير وقفاً " على المسلمين ، ويضرب عليها خراج معلوم ، يؤخذ منها في كل عام ، يكون أجرة لها ، وتقر الأرض في أيدي أصحابها ، ما داموا يؤدّون خراجها ، وهذا النوع من الخراج ، يتساوى المسلم والذمي في دفعه والتزامه ، لأن الخراج إنما فرض على

الأرض ، لا على أصحابها القائمين بها ، ولا يسقط خراج تلك الأرض بإسلام أربابها ، أو بانتقالها إلى شخص مسلم .

من أبرز صور المساواة في الإسلام:

لقد جعل الإسلام معيار التفاضل بين الناس جميعاً هو التقوى وحده: فقال جل شأنه: * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ & [الحجرات: 13].

والم تأمل في الآية* خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل&، والشعوب أعم من القبائل والقبائل تتشعب إلى فصائل وإلى عشائر وإلى عوائل وإلى أفخاذ وهذا التنوع في الأنساب وفي الألوان وفي الألسنة ومثله التنوع في الطبائع وفي الأخلاق وفي المواهب كل ذلك الهدف منه التعارف والوئام والتعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات وإلا لا تفضيل لجنس على جنس ولا للون على لون ولا لشعب على شعب ولا لقبيلة على قبيلة فإن التفاضل لا يرجع إلى الجنس ولا إلى اللون ولا إلى الوطن ميزان التفاضل واحد هو الإيثار والمؤمن أفضل من الكافر المؤمن أعلى من الكافر والمسلم أفضل من المشرك ثم المؤمنون فيما بينهم يتفاوتون ويتفاضلون وميزان التفاضل فيما بينهم هو التقوى فأتقاهم الله تعالى هو أكرمهم عنده قال سيدنا رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». (١)

(١) أخرجه مسلم

وإذن الناس جميعا في أصلهم وفي شرفهم وفي عنصرهم يتسبون إلى أصل واحد هو الطين والتراب ولذلك لا يتفاوتون في هذا لا يتفاوتون في الأصل ولا في الشرف إنما يتفاوتون في الأمور الدينية في طاعة الله تبارك وتعالى وفي متابعة رسوله ^٨ أما تقسيمهم إلى شعوب وإلى قبائل وأما اختلافهم في الأنساب فالمقصود منه التعارف والتآلف روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ^٨ قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة للأهل ومثراة للمال ومنسأة للأثر» (٢) ، هذا هو المبدأ العظيم الذي جاء به ديننا القويم فكرس مبدأ المساواة بين البشر وجعل ميزان التفاضل واحدا هو الإيمان والتقوى فالناس إنما يتفاضلون بهذا الميزان وإنما انقسموا لشعوب وقبائل من أجل التعارف والتآلف والتواصل والوئام والله تبارك وتعالى العليم الخبير هو الذي وزنهم عن علم وخبرة وبثهم في الأرض رجالا ونساء وشعوبا وقبائل من هذا الأصل الواحد فإذا تفاخر الناس بأنسابهم وبأصولهم وبقبائلهم فعليهم أن يتذكروا أن العليم الخبير الذي بثهم من التراب والطين يسمعهم ويراهم هو العليم بأصلهم خبير بأحوالهم أليس هو الذي خلقهم* ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير & [الملك: 14].

وقد جاء الإسلام فسوى بين بلال وعمر ؛ وسوى بين سلمان وأبي بكر ؛ ولم ينظر الإسلام في هذه التسوية للجنس ولا للون ولا للعرق ؛ وهكذا تميز هذا الإسلام العظيم

(٢) [مسند أحمد (374/2)، سنن الترمذي (1979)، وقال: حديث غريب.]

على جميع النظم والأيدولوجيات والشرائع والأديان الوضعية ذا المبدأ العظيم ، وهذه القيمة الكبرى مما يجعل المسلم يفتخر بهذا الدين القويم .

ومن المساواة المساواة في الكرامة الإنسانية فلا يؤذى أحد بسبب لونه أو جنسه أو مذهبه أو عقيدته ، فالإنسان في حد ذاته كائن ومخلوق مكرم ؛ كرمه الله تبارك وتعالى ؛ فلا يجوز أن يعتدي عليه بأي نوعٍ من أنواع الاعتداء ، فالعدل والمساواة بين الناس حق لهم جميعاً ، والظلم محرم فيما بينهم ، مهما كان لون أحدهم أو عرقه أو دينه .

قال سبحانه: * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً & [الإسراء: 70] قال المفسرون : كرمهم بالعقل ، والنطق ، وتسخير الأشياء ، وتناول الطعام بالأيدي ، وحملهم في البر والبحر على المراكب المختلفة .

وأقسم سبحانه على أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وأجملها وأكملها فقال جل وعلا : *والتين والزيتون * وطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ & .

وبين سبحانه جل وعلا أن قتل النفس الإنسانية بغير حق في الإسلام كقتل الإنسانية جمعياً ؛ وحماية نفسٍ واحدةٍ من القتل كإحياء الناس جميعاً ، فقال تعالى: * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا & [المائدة: 32]

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : مرت بنا جنازة ، فقام لها النبي ^ﷺ وقمنا فقلنا : إنها جنازة يهودي ، فقال ^ﷺ : «إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها» ، وفيها عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي ^ﷺ مرت به جنازة فقام ، فقل له : إنها جنازة يهودي ، فقال ^ﷺ : «أليست نفساً» (١٩)؟

وانظر معي إلى تلك الصورة الراقية الرائعة من عدالة الإسلام ومساواته في عهد ا لصحابة الكرام رضوان الله عليهم:

قال أنس رضي الله عنه كنا عند عمر بن رضي الله عنه الخطاب إذ جاء رجل من أهل مصر ، فقال: يا أمير المؤمنين، عائد بك من الظلم، فقال عمر: عذت معاذاً، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، لماذا يضربه؟ فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم، ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ ثم قال: خذ السوط فاضرب، فجعل المصري يضرب ابن عمرو بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. قال أنس: فضرب والله، فما أقلع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه.

ثم قال : اجْلِها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه.

قال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت ، وقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني . قال : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه ، أيا عمرو! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

(١٩) أخرجه البخاري في الجنائز (1313)، ومسلم في الجنائز (961) من حديث سهل بن حنيف وقيس بن سعد رضي الله عنهما.

ثم التفت عمر إلى المصري فقال : انصرف فإن رابك ريب فاكتب إليّ (٢٠).

ويروى انه كتبت إلى عمر بن عبد العزيز رحمته الله أمة سوداء من مصر برسالة تقول:
"بسم الله الرحمن الرحيم، من فرتونه السوداء إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز"، لم
تكتب إليه تطلب أن يجري لها نهرا، ولا أن تقطع لها ضيعة، ولكن ما الذي يمكن أن تطلبه
أمة سوداء؟ "من فرتونه السوداء إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز. أما بعد: فإن لي
جدارا على حائطي انهدم بعضه، فأصبح الغلمان يعبرون على حائطي فيسرقون دجاجي،
فأمر واليك على مصر فليقيم الجدار". إن هذا الطلب الصغير الذي يوجه في رسالة إلى عمر
يدل على تواضع عمر وأن حاجات المسلمين كبيرة عنده وإن كانت صغيرة. إن كل امرئ
لا يحس إلا بهمه، فكتب إليها: "من عمر بن عبد الله بن عبد العزيز إلى فرتونه. أما بعد:
فإني قد أمرتُ أميري على مصر أن يقيم لك الجدار والسلام. عمر بن عبد العزيز".

المساواة مبدأ الإسلام الأصيل:

تعد المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، مبدأ أصيلاً في الشرع
الإسلامي، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره قائماً في الحضارات القديمة، كالحضارة
المصرية أو الفارسية أو الرومانية؛ إذ كان سائداً تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل
منها ميزاتها وأفضليتها، أو على العكس من ذلك، تبعاً لوضعها الاجتماعي المتدني.

ولقد كانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، بل إن بعض المجتمعات -كالمجتمع الهندي مثلاً- كان يعرف طائفة المنبوذين، وكان محرماً على أفراد الطبقة أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت ملكاتهم تتيح لهم ذلك.

وفي العصر الحديث رفعت الثورة الفرنسية سنة 1789م شعار المساواة، غير أن التجارب العملية تعلم الإنسان أن المبادئ والشعارات وحدها لا تكفي، دون أن يكون هناك ما يحدد المضامين، ويفتح طريق التطبيق ويفرض الجزاء عند المخالفة، وذلك ما نجده في التشريع الإسلامي في مبدأ المساواة بين الناس، فهي تسوية أصلية بحكم الشرع، ومضمونها محدد، وأساليب تطبيقها واضحة، والجزاء عند مخالفتها قائم، وهو جزاء دنيوي وآخروي.

إن التسوية بين البشر في المفهوم الإسلامي تعني التسوية بينهم في حقوق الكيان الإنساني، الذي يتساوى فيه كل الناس.

أما التسوية الحسابية في الحقوق الفرعية التي تؤدي إلى المساواة بين غير المتماثلين، فإنها معنى يختلف عن التسوية في الآدمية التي كرمها الله، والتي تستند إلى مبادئ ثابتة وأصل واضح، قال الله تعالى: *يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا&، فالناس كلهم من نفس واحدة.

وحينما تختلف أحوال الناس وأوضاعهم، وتختلف أزمتههم وأمكتهم، ويوجد التنوع في الأجناس والألوان واللغات، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والعلم والجهل، ويختلف الموقع الاجتماعي والاقتصادي بين الناس، حينذاك تفرض المجتمعات معايير للتفاضل بين الناس، إزاء هذا التنوع والاختلاف.

ولا بد من وضع معيار للتفاضل؛ لأن المساواة المطلقة لا تكون إلا في الكيان الإنساني، والمشكلة تبدأ عند وضع هذا المعيار، بحيث لا يخل بمبدأ المساواة في ذاته، ويجعل التفاضل وسيلة نمو ورقي، وليس ذريعة للظلم والتفرقة بين الناس، وهذا ما جاء في الشرع الإسلامي، فقد ترك كل المعايير السائدة للتفاضل، كالقوة والضعف، والموقع الاجتماعي أو الاقتصادي، أو الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان أو الجنس واللون.

فكل هذه المعايير كانت قائمة في المجتمعات القديمة، حتى أنكر بعض الفلاسفة الأقدمين، مبدأ المساواة ذاته، مثل أفلاطون الذي قرر أن بعض الناس خلقوا للحكم والسيطرة، وبعضهم خلق لكي يكون محكوماً يعمل من أجل غيره، وجاء في الإسلام معيار للتفاضل، يتساوى أمامه الخلق جميعاً على اختلاف الأجناس والألوان، والحرية والعبودية، إنه معيار التقوى، قال الله تعالى: * إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ&.

إن معيار التفاضل هنا يستطيع الارتقاء إليه كل البشر، ولا يقسم الناس إلى طبقات يعلو بعضها بعضاً، وهو معيار يدفع إلى الرقي والسمو بالإنسان.

إن التقوى معيار الكرامة الإنسانية عند الله - عز وجل - ومع ذلك فهي معيار الصلاح في الدنيا، وهو معيار حقيقي وعملي؛ إذ إن صلاح الإنسان في دنياه يجعله أفضل لنفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه من غيره الذي لا يفيد نفسه ولا مجتمعه بشيء.

وقد هدم الدين الإسلامي بهذا المعيار الحقيقي الذي يرتقي بحياة الإنسان والمجتمع كل المعايير الزائفة التي أشار القرآن الكريم إلى الكثير منها، حيث يقول الله تعالى في الإنكار على أصحاب المعايير الزائفة في التفاضل: ***قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ***. مما يدل على أنهم لم يؤمنوا؛ لأن من هم أقل منهم قد آمنوا بالرسول [^]. وقالوا: ***أَنْتُمْ مَنْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ***.

ولما طلب وجهاء قريش ومن كانوا يحسبون أنفسهم سادة قومهم من النبي [^] أن يطرد الفقراء والمساكين وضعاف الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به، كعبار بن ياسر، وبلال، بحجة أنهم يريدون أن يستمعوا إلى النبي [^] ولكنهم لا يجلسون مجلساً يكون فيه هؤلاء محل الرعاية من الرسول الكريم، نزل قول الله تعالى: ***وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ***.

ويعيب الرسول [^] على أحد أصحابه الملازمين له على الحب والتلقي منه، أن
الجبلة غلبت أبا ذر ^١ في يوم من الأيام وفي موقف من المواقف فقال لأحد إخوانه في الإيمان
وقد غاضبه ونازعه في أمر من الأمور انطلق لسان أبي ذر وغلبته الجبلة دون أن يقصد ذلك
فقال له: يا ابن السوداء فبلغ ذلك النبي [^] فغضب غضبا شديدا ولام أبا ذر ووبخه فقال
له: «أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية» (٢) ، سيدنا المصطفى [^] دقيق رقيق عادل
منصف حتى في توبيخه لم يقل لأبي ذر إنك امرؤ جاهلي فحاشا أبا ذر أن يكون كذلك فهو
مؤمن مسلم تربى في مدرسة النبي [^] لكنها بقية ضئيلة بقيت في نفسه فنبهه النبي
المصطفى [^] إلى أنه يجب عليه أن يعالج تلك البقية الباقية أن يروض نفسه على مبادئ
الإسلام العظيم مبدأ المساواة بين الناس مبدأ التفاضل بالتقوى وذهب أبو ذر يروض نفسه
فماذا فعل ^{عليه السلام} وأرضاه ذهب إلى أخيه ذلك الذي أغضبه فاعتذر له واستسمحه حتى
رضي عنه وسامحه ثم وضع أبو ذر خده على الأرض وقال له : يا ابن أخي ضع قدمك على
خدي هكذا حاول أبو ذر أن يروض نفسه على مبادئ الإسلام على مبدأ المساواة بين الناس
على مبدأ التفاضل بالتقوى على هذا المبدأ الإسلامي الرائع العظيم الذي لا بديل له سوى
الجاهلية الجاهلية إذا طغت فالناس حينئذ يتفاضلون بالعنصرية العنصرية للون أو
العنصرية لجنس أو العنصرية لوطن وحينئذ يعاقبهم الله تبارك وتعالى بالذل والهوان هذا
هو وعده على لسان النبي [^] قال النبي المصطفى [^] : «كلكم بنو آدم وآدم من تراب

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان (2) (20/1) برقم (30) ومسلم في صحيحه (1282/3-1283) برقم (1661).

لينتهين قوم عن تفاخرهم بالآباء أو ليكونن أهون على الله من الجعلان» (٤)، وقال ^٨ في خطبته في حجة الوداع: «لَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى». (٥)

وأقامت الشريعة الإسلامية أصل المساواة في أحكامها، على النحو الذي يجعل هذا المبدأ وسيلة لرفي الإنسان، وتحصيل مصالح الحياة.

إن المرأة في الإسلام مكلفة مثل الرجل بما أمر الله به وما نهى عنه، وإن جزاءها مثله، قال الله تعالى: *مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ&.

وكل من الرجل والمرأة له حقوق وعليه واجبات، وهي حقوق وواجبات تكاملية، تجعل من حقوق الرجل وواجباته، وحقوق المرأة وواجباتها، كلاً متكاملًا في وحدة واحدة، تصلح بها حياة الأسرة، فإذا كان من حق الرجل الطلاق، فإن من حق المرأة الخروج من زوجية تضرها -بشروط معينة- ولها الحق في طلب التطلق إذا أضررت من زوجها الذي لا يكون أميناً عليها، ومن حقها العمل إذا احتاجت إليه ، أو احتاج العمل إليها ، كما في بعض المهن والأعمال المناسبة لها ، وفق ضوابط الشرع، ولها أهليتها الكاملة ودمتها المالية

(٤) مسند أحمد (361/2)، سنن أبي داود (5116) وفيه اختلاف في اللفظ.

(٥) [رواه أحمد -22391- (478/47) وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية .

المستقلة. تلك من أهم صور المساواة التي جاءت في الإسلام أصولها ومفاهيمها، في قضايا مهمة من قضايا البشر. (٢)

وكما قال ^٨: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» (٣).

لقد حارب الإسلام العادات السيئة التي كانت منتشرة في العالم في ذلك الوقت، من ظلم الأكاسرة والقيصرة والأباطرة، ومن جبروتهم وطغيانهم، نعم حارب الإسلام كل هذه العادات، وجعل مكانها العدل والمساواة والرحمة، ويدل على ذلك قول المولى تبارك وتعالى: ^{*}«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» وقوله عز وجل: ^{*}«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا».

فهذه مساواة بين الشرفاء والضعفاء في الحدود، فلا توضع عن شريف لشرفه إذا ارتكب ما يوجبها، ولقد بيّن رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه- أن التفرقة بين الشرفاء والضعفاء في الحدود كانت العلة في ضلال الأمم السابقة.

(٢) كتاب حقوق الإنسان في الإسلام لـ(عبد الله بن عبد المحسن التركي).

(٣) [رواه أبو داود -2371- (388/7) وقال الألباني حسن صحيح، انظر: تحقيق سنن أبي داود رقم [2751].

لقد تنازع عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو أمير على المؤمنين مع يهودي، فاحتكما إلى شريح، فسأل عليّ بن أبي طالب البيّنة فعجز عن إقامتها، فوجّه اليمين إلى خصمه اليهودي فحلف، فحكم بالدرع لليهودي، فاستغرب اليهودي ذلك الأمر، وقال: قاضي أمير المؤمنين يحكم لي عليه! ونطق بالشهادتين وأسلم.

مجالات المساواة

إن المجالات التي تجب فيها المساواة في النظام السياسي في الإسلام، هي:

1 - المساواة في التكاليف الشرعية وأحكام الشريعة، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، فكل المسلمين يقومون بذلك سواسية، فليس هناك محاباة لطبقة على طبقة، ولا لجنس على جنس، فالضعيف والقوي، والفقير والغني، والرجل والمرأة، كلهم أمام التكاليف الشرعية سواء، وليس في الإسلام إعطاء امتياز لأي من هؤلاء بسبب صفة الغنى أو القوة أو القبيلة أو اللون، ونستحضر هنا قصة المرأة المخزومية التي سرقت فشفع بعض الصحابة فيها عند رسول الله ﷺ كي يعفوها من العقاب؛ لشرفها وحسبها وعلو منزلتها في قومها، فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن قال مقولته الشهيرة التي ذهبت في ضمير العالم تؤسس لقاعدة المساواة أمام القوانين والأنظمة، قال ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا أَنَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقْتُ؛ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (٧).

2 - المساواة أمام القضاء، ويقصد به عدم اختلاف المحاكم التي تفصل في الجرائم والمنازعات باختلاف الوضع الاجتماعي لأشخاص المتخاصمين، فالجميع أمام النظام الإسلامي

(٧) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر أسامة بن زيد (3526) ، ومسلم ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره (1688) .

سواء من حيث خضوعهم لولاية القضاء، وإجراءات التقاضي، وأصول المرافعات، وقواعد الإثبات، وسريان النصوص عليهم، وتنفيذ الأحكام الصادرة بحقهم، فلا فرق بين رئيس ومروؤوس، ولذا قيل: على القاضي التسوية بين الخصوم في المدخل، واللحظ، واللفظ، والمجلس^(٨).

3 - المساواة في وظائف الدولة، فكل المناصب والوظائف في الدولة الإسلامية حق لكل مسلم كفاء، لا يحول دون ذلك انتماء إقليمي، أو عصبية.

وصفوة القول: إن الإسلام لا يفرق بين واحد وآخر في الخضوع لسلطانه، وليس فيه فرد فوق الشرع مهما علت منزلته، وأمير المؤمنين والوالي، وكل واحد من الأفراد متساوون في أحوالهم المدنية والجنائية، لا يمتاز أحد بحكم خاص، ولا بطرق محاكمة خاصة؛ بل جميعهم أمام القضاء الشرعي سواء^(٩).

ثم إن الناظر في حال العالم اليوم يدرك مدى انتشار العصبية والعنصرية في كثير من الأصقاع فها هم اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار، وغيرهم يزعم فضل الجنس الأوروبي على سائر الأجناس، والبعض يرى غيره أخط منه وأقل بسبب لونه أو قوميته، وفي بلادنا ظهرت الطائفة الحوثية التي بنت فكرها على العنصرية وإزاحة الآخر، والإسلام حارب مثل هذه التوجهات منذ أكثر من أربعمئة وألف سنة بإعلانه من شأن المساواة، وتطبيقها عملياً.

إن من المبادئ العظيمة التي أرسى دعائمها ديننا الحنيف مبدأ أخوة الإسلام، إنها الصلة الحقيقية التي تربط أبناء الإسلام على تنائي الأوطان وتباعد الديار واختلاف الألسن

(٨) النظام السياسي الإسلامي للبياتي (ص 152).

(٩) السياسة الشرعية لخلاف (ص 42 - 43).

واللغات. إن رابطة الدين والعقيدة رابطة تضحّل في ظلّها كلّ روابط العنصريّات والقبليّات الممقوتة، إنّها رابطة لا تنفصم عراها ولا تتقطع حبالها، *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ&. إن النظر والمقياس يوم القيامة للقلوب والأعمال، لا للصور والأجسام، ولا للأحساب والأنساب. إن النسب - يا عباد الله - لا يزيد في عمل الإنسان ولا ينقص، يصدق ذلك قول النبي ^: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(٦).

إن النسب لم يقدم شيئاً لابن نبيّ الله نوح عليه السلام؛ إذ فارق أباه في العقيدة، فقال الله: *إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ). إن النسب الرفيع لم يقدم شيئاً لأبي جهل ولا لأبي لهب، *تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ&[المسد: 1-3]، بينما نصرة الدين والإسلام ورفع لوائه هي التي رفعت سلمان الفارسي وبلالا الحبشي وصهيبا الرومي، فهم لا يملكون نسباً ذائعاً ولا صيتاً قبلياً؛ إذ سمع نبينا خشخشة بلال في الجنة، ويقول لصهيب: «ريح البيع أبا المنذر»(١)، ويأتي سلمان لما تفاخروا بالقبيلة ليعلن مقولته المشهورة:

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخروا بقيس أو تميم

وقال آخر:

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه *** فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

(٦) جزء من حديث أخرجه مسلم في الذكر (2699) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) مختصر ابن كثير مجلد 1 ص 222.

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ *** وقد وَضَعَ الشُّرْكَ الشريفَ أبا لهب (٢)

يقول أبو العتاهية:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هُوَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ *** وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الْفَقْرُ وَالْعَدَمُ

وليس على عبدٍ تَقِيٍّ نَقِصَةٌ *** إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

ولما فاخر أبا العتاهية رجل من كنانة، واستطال الكناني يقوم من أهله، قال أبو العتاهية:

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدَّ *** وَنَسَبِ يُعْلِيكَ سُورَ الْمَجْدِ

ما الْفَخْرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ *** وَطَاعَةٍ تُعْطَى جَنَانَ الْخُلْدِ (٣)

العصبية العمياء:

إن العصبية القبلية والحمية الجاهلية رافعة ألوية الشيطان وباعثة الأحقاد وموقدة

الفتن، * إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ & [الفتح: 26].

لقد حذر نبينا من المفاخرة بالأحساب والطعن في الأنساب، وجعلها من أمور الجاهلية،

ولذا يقول: «أربع من أمتي من أمر الجاهلية: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب،

(٢) راجع الشعر في مجمع الحكم والأمثال.

(٣) راجع الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (7/4). الناشر: دار الفكر - بيروت. الطبعة الثانية. تحقيق: سمير جابر.

والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» (٢) ، ويقول عليه الصلاة والسلام: «ثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت» (٣).

إن العصبية القبلية والحمية من أجلها مقتها رسولنا وعدّها من دعاوى الجاهلية ، فقال ^٨ : «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» (٤) ، ويقول : «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية» ، بل جعلها الإسلام متنة تنفيراً للنفوس من سلوك طريقها واتباع سبيلها؛ إذ ضرب رجل من الأنصار رجلاً من المهاجرين فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال : «ما بال دعوى الجاهلية؟» فقالوا: يا رسول الله، رجل من الأنصار ضرب رجلاً من المهاجرين، فقال: «دعوها فإنها متنة» (٥).

إن المفاخرة بالقبيلة واستنقاص الناس يتنافى مع التواضع؛ إذ يقول : «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يغني أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» (٦).

إن الافتخار بالآباء والاعتزاز بالانتماء القبلي والطعن في أنساب الناس وأصولهم واحتقارهم لأجل هذا أمر منكر يدل على ضعف الإيمان وخور العقل، إنه مرض فتاك

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم.

(٤) البخاري

(٥) صحيح البخاري (4905) صحيح مسلم (2584).

(٦) رواه مسلم

يشعل العداوات ويفرق الجماعات، يولّد الكبر المذموم والزهو الممقوت، «الكبر بضر الحق وغمط الناس» (٧). إن استنقاص الناس والتقليل من شأنهم والخطّ من قدرهم على أساس العنصريات القبلية والانتماءات المكانية أمر يتنافى مع تعاليم الإسلام ويفرق الأخوة الإسلامية ويزرع الأحقاد، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره».

لقد جاء نبينا إلى المدينة فوجد قبيلتي الأوس والخزرج متناحرتين، تقوم بينهما المعارك لأتفه الأسباب، تغلغت فيهم أسباب العصبية والنعرات الجاهلية، جاءهم بعدل الإسلام ونور الإيمان، فأصبحوا إخوة متحابين متآلفين، سادوا الدنيا ونصروا الدين، إنهم الأنصار، أثنى الله عليهم في كتابه، وذكرهم بحالهم إبان الفرقة والنزاعات الظالمة: *وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا & [آل عمران: 103].

إن أعداء الإسلام بمكرهم الدفين وحقدهم المتين على الإسلام وأهله لم يألوا جهداً في التفرقة وإثارة النزاعات والعصبيات؛ لأنهم يدركون أن هذا طريق التمزق والاختلاف والضعف والوهن للمسلمين، ويصدق ذلك واقعهم المعاصر في أرض العراق وإثارة الأحقاد والطائفيات، *وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ & [الأنفال: 30].

العصبية القبلية مجالس الدهماء تروّجها، واحتفالات القبائل تذكّيها، وأشعار الغاوين تردّدها، ونحن أمة واحدة، عقيدة الإسلام تجمعنا، وراية التوحيد تألف بيننا، لا فخر لنا

(٧) رواه مسلم.

إلا بطاعة الرحمن، ولا عز لنا إلا بالإيمان، ومهما ابتغينا العزة بالأنساب والألوان فلا عز لنا.

وإن الناظر في حال نبينا محمد ^٨ وما كان عليه من التواضع الجَمِّ وهو من هو صاحب الخوض المورود واللواء المعقود صاحب النسب الطاهر والحسب الرفيع ولذا يقول: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» (١)، وهو خيار من خيار، ومع ذلك لم يحمله شرف نسبه ورفعة أصله على الكبر وازدراء الناس واحتقارهم، بل ضرب به المثل في التواضع، يأكل مع الخادم، ويجالس المسكين، ويمشي مع الأرملة، ويرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، وينام على الحصير.

إن هذه العصبية التي يأبأها الإسلام ومحاربتها هي التي أدت إلى نشوء التعصبات المذهبية والنعرات القبلية التي أودت بالمسلمين وأضعفتهم، ولو تتبعنا سير هذه التعصبات لوجدنا وراءها أعداء الله من يهود ونصارى، فلقد بدأت بالمنافق اليهودي عبد الله بن سبأ، واستمرت بأشكال متنوعة في العصر الأموي والعباسي، واتخذت منحني آخر نجح الأعداء في تأجيجه بين المسلمين، هذا عربي أصيل، وهذا بربري، حتى انهار الإسلام في الأندلس، وتمكن اليهود من بذر فتنة القومية والعصبية بين الشريف حسين وبين العثمانيين بأن الأشراف من أهل البيت وهم أحق بالخلافة من المسلمين الأتراك الأعاجم، حتى صدق الشريف حسين هذه المقولة وأعلن الثورة والعداء على إخوانه المسلمين الأتراك في

(١) رواه البخاري ومسلم

السلطنة العثمانية التي حافظت على الإسلام قرابة ثمانية قرون، وهذا ما حدث في أفغانستان وفتنة المذهبية والوهابية التي أتت إلى أفغانستان لتدمير المذهب الحنفي كما يدعون، وهذا ما يحدث اليوم في جميع أنحاء العالم الإسلامي من فتن هدفها التفريق بين المسلمين ليسهل ضربهم وتشتييتهم وذهاب ريحهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ووالله، إن أعظم وأشرف وصف ينبغي أن يعتز المسلم به ويفتخر هو بعبوديته لله عز وجل. حينما اصطفى رسوله محمدا خاطبه بوصف العبودية فقال: *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى & [الإسراء: 1]، ولو كان هناك وصف أعظم من العبودية لنادى به الله سبحانه خليله، وما أحلى قول الشاعر عندما يخاطب ربه سبحانه وتعالى قائلاً:

وما زادني شرفاً وتيهاً وكدتُ بأخمي أطلا الشريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

فوائد العدل والمساواة:

وللعدل والمساواة فوائد عديدة منها:

- ١ - تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم بحيث يشعر كل فرد من أفراد أنه ليس أقل من غيره وأنه سيحصل على حقه في التعليم والوظائف العامة ونحوها.
- ٢ - القضاء على الفتن الطائفية؛ نظراً لشعور الذميين بأن لهم حق المواطنة على قدم المساواة مع المسلمين.

- ٣ - إشعار المرأة بقيمتها ، إذ هي مساوية للرجل في الإنسانية وأصل المسؤولية والجزاء وحق العبادة وحصول الثواب ، وأنها لا تشكل الجانب الأضعف.
- ٤ - القضاء على الغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس ، والقضاء على الوهن والضعف وخور العزيمة عند من يظنون أنفسهم دونهم.
- ٥ - اطمئنان كل فرد على عدالة الحكم وأن السياسة التي تقوم على ذلك هي سياسة عادلة لا تفرق بين الناس تبعاً لأعراقهم ووضعهم الاجتماعي ، أو مواقعهم من السلطة (١).

الحوثيين و داء العنصرية والعصبية:

تعريف الحوثيين: "تلك الحركة أو التنظيم الفكري الذي أعلن نفسه في العام 1990م، باسم (الشباب المؤمن) كإطار تربوي وثقافي في البداية ، اذ اقتصر نشاطه في ذلك الحين على تربية الشباب وتأهيلهم بدراسة بعض علوم الشريعة ، مع الأنشطة المصاحبة ، وفق رؤية مذهبية زيدية غالبية ، ثم ما لبث أن انتقل بسبب بعض العوامل -تنظيم مسلح عسكري ، بدءاً من منتصف العام 2004م، بحيث صار (الحوثيين) عنواناً له" (١)

(١) القيم بين الإسلام والغرب ص ٣٧ ، وهو قد نقلها بتصريف عن موسوعة نضرة النعيم ج ٧ / ص ٢٨١٨ .

(١) قراءة في الجذور الفكرية للحوثية ، احمد الدغشي، ورقة قدمها خلال منتدى الأحمر ، 2009م.

عقيدة الحوثي في أبي كر وعمر والصحابة:

يقول بدر الدين الحوثي: «أنا عن نفسي أؤمن بتكفيرهم - أي الصحابة - كونهم خالفوا الرسول ^٨. اهـ (٢).

كبرت كلمة تخرج من فيه إن يقول إلا كذبا قال تبارك وتعالى عن الصحابة الكرام: *وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا*.

ويقول حسين الحوثي - وبئسما قال - وشيء ملاحظ في تاريخ الأمة أن كل أولئك الذين حكموا المسلمين بداء بابي بكر ... من غير أهل البيت ومن كانوا في حكمهم أيضا خارجين عن مقتضى الإيثار هم من أضاعوا إيمان الأمة (١). اهـ، فكلامه هذا يدل على انه يكفرهم ويخرجهم من الإيثار ويضللهم يكذب قول الله في الصحابة *وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعِتِّمُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ*.

ويقول حسين الحوثي أيضا: «السلف الصالح هم من لعب بالأمة هم من أسس ظلم الأمة وفرق الأمة لان ابرز شخصية تلوح في ذهن من يقول السلف الصالح يعني أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعائشة وعمرو ابن العاص والمغيرة ابن شعبة وهذه النوعية هم

(٢) نقله عن جعفر المبخوت في لقاء معه على الموقع الشيعي المسمى المعصومين الأربعة عشر.

(١) سورة المائدة الدرس الرابع 16\1\2002م.

السلف الصالح ؟!! هذه أيضا فاشلة (٢)، «كل سيئة هذه الأمة كل ظلم وقع لهذه الأمة .. وكل معاناة وقعت الأمة فيها المسئول عنها أبو بكر وعمر وعثمان وعمر بالذات لأنه هو المهندس للعملية كلها» (٣) .

ويقول... «من في قلبه ذرة من الولاية لأبي بكر وعمر وعثمان لا يمكن أن يهتدي إلى الطريق التي تجعله فيها من أولئك الذين وصفهم الله بقوله * فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» ، ولن يكون من حزب الله . (١) .هـ

أخي القارئ هذه هي عقيدة الحوثي في الصحابة الكرام الذين رضي عنهم ربنا ووعدهم الجنة فقال تبارك وتعالى * وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» .

وهذا يأمر بلعنهم ويحكم بإجرامهم والبراءة منهم وقد قال الله عز وجل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في القران * إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» .

(٢) المصدر السابق سورة ال عمران الدرس الثاني 19\1\2002م

(٣) سورة المائدة الدرس الأول 13\1\2002م.

(١) من الدرس الأول والرابع من سورة المائدة

وقال النبي ^٨: «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة»، ومن الذي نشر الدين وجاهد المرتدين وأوصل الإسلام إلى العالمين؟؟؟! قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «أن أصل دعوة الروافض كيد الدين ومخالفة الإسلام وبهذا يتبين أن كل رافضي خبيث يصير كافرا بتكفيره لصحابي واحد فكيف من يكفر كل الصحابة واستثنى أفرادا يسيرة (١). ١هـ

موقف الحوثي من أهل السنة وهل يمكنه التعايش معهم:

يقول حسين الحوثي: «إن حزب الله المذكورين في القرآن ليسوا هؤلاء المسلمون السنة بل إن حزب الله مفهوم قرآني يقتصر على الشيعة. (٢) ١. هـ، ويقول: فمن حماقة أن نفكر بالارتباط بالسنية أو إمكانية التوحد معهم ١. هـ ويقول أيضا: «الوهابيون هم الإرهابيون (٣). ١هـ

فالحوثي لا يمكنه التعايش إلا مع من كان على فكره الاثني عشري الرافضي على طريقة من قال فيهم تبارك وتعالى: *وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبَعَ دِينُكُمْ & . * لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا & .

(١) نثر الجوهر عن حديث أبي نر

(٢) من درس من هدي القرآن ألقاها بتاريخ 2002\2\10

(٣) الصرخة 2002\1\17.

وخير دليل على ذلك ما يقومون به من حصار دار العلوم السلفية بدماج في صعدة ومنعهم الطعام والدواء وفيهم آلاف الأطفال والنساء ثم ضربهم بمختلف الأسلحة.

من صور العنصرية والعصبية لدى الحدوثيين:

لا شك بأن الحركة الحوثية هي حركة عنصرية لأنها تدعي حق المتمين لولدي الخليفة علي بن أبي طالب من زوجته فاطمة عليها السلام بنت النبي ^٨ أي الحسن والحسين حكم العالم، إنها تدعي أن ذريتهما هم المخولون من الله بتفسير كلامه وتبين الحلال والحرام للمسلمين إنهم يزعمون بأنهم أكثر المسلمين تقوى وبالتالي فإن طاعتهم عبادة ومخالفتهم معصية .

إنها تمثل أسوأ أنواع العنصرية لأنها تكذب على الله وعلى نفسها وعلى الناس، فهي تجمع بين عنصرية اليهود وعنصرية الاستعمار، فادعائها أن تميز آل البيت هو بأمر من الله يتشابه مع ادعاء بني اسرائيل، وادعائها بأن العالم لن يستقر ولن يتطور إلا إذا حكمه فرد من آل البيت يشبه تبرير الاستعمار القديم والحديث للسيطرة على العالم.(١)

وتتجلى العنصرية في أبشع صورها في شعار الحركة، إن هذا الشعار يدعو إلى قتل وإهانة المخالفين في الدين والعرق والثقافة، ولذلك فإنه يجب رفض هذا الشعار وتجريم من يردده، وأن من يبرر أو يقبل بذلك فهو يمارس العنصرية أو يشجع عليها.

(١) سيف العسلي، خداع الحوثية، صحيفة 26 سبتمبر، 21 نوفمبر، 2009م.

فالعنصرية ما هي إلا التمييز بين البشر على أساس العرق أو السلالة أو اللون أو الموطن وتعامل معهم تبعاً لذلك وليس على أساس الخصائص الفردية التي وهبهم الله إياها، فالممارسات العنصرية قد تكون من خلال التصنيف أو الوصف أو التصرف السلبي وقد تكون كذلك من خلال الحقوق والواجبات المتحيزة، إنها ببساطة تفضيل بعض البشر على البعض الآخر وفقاً لمعايير لا خيار لهم بها وليس على أساس أعمالهم وتصرفاتهم التي يختارونها بإرادتهم الحرة، ولا شك أن ذلك كله ينطبق على العديد من ممارسات الحركة الحوثية.

ولعل من أكثر هذه الممارسات عنصرية قتالها بهدف إجبار الآخرين على التسليم لقائدها بالحكم لأنه فقط ينتمي لآل البيت، إنها بذلك تكذب على الله وعلى رسوله، لقد جاء الإسلام ليصحح مسار الدين الذي انحرف بسبب العنصرية، إنه لم يقبل أبداً ادعاء بني اسرائيل أنهم شعب الله المختار، وبالتالي فإنهم يختلفون عن بقية البشر الآخرين، وأثبت بما لا يدع أي مجال للشك بأنهم بشر ممن خلق يعذب من يشاء ويرحم من يشاء.

ووفقاً لذلك فإن إكرام الله لهم بالوحي والنبوة في مرحلة ما من التاريخ لا يعطيهم الحق في الادعاء بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وكذلك فإن ادعاء أي جماعة من الناس بالانتساب إلى النبي ^٨ لا يعطيها الحق في تعاليها على الناس بأي شكل من الأشكال، فكما كان تميز بين اسرائيل مرتبطاً بفترة زمنية معينة وبمدى قيامهم بها التزموا به أمام الله فإن تميز أهل بيت النبي ^٨ مرتبط بزمانه وبما قاموا به من جهود لنصرته.

والدليل على ذلك أنه لم يتردد الله في وصف تصرفات بني اسرائيل في مرحلة لاحقة بأنها ضلال وبالتالي فإنهم استحقوا الوصف بالخنازير والقردة إذ لو كان فضلهم ينبع من عرقيتهم لما حدث ذلك لأنهم كانوا يعرفون قبل ذلك ببني اسرائيل وظلوا يعرفون بعد ذلك كذلك.

لقد تغير وصفهم فقط لأنهم لا يترددون في أن يشتروا بكتاب الله ثمناً قليلاً، وقد دفعهم ذلك إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه، ففسروا تحذير الله لهم على أنه تزكية لهم، لكنهم في الحقيقة زكوا أنفسهم بأنفسهم وتناسوا أن الله يزكي من يشاء، *قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل & ، ولذلك لا يقبل ممن يتسب لآل البيت أن يزكي نفسه بنفسه ما لم يزكه القرآن وهو لم يفعل.

فقد جاء القرآن والإسلام لينقض نظرية العنصرية وإلى الأبد، فلا يحق لأي جماعة أن تزكي نفسها، التزكي ليس ادعاء وإنما هو السعي الفردي أو الجماعي للوصول إليه والوصول إليه فعلاً من خلال الأعمال والأقوال الدالة عليه، ومن يتزكى فإنما يتزكى لنفسه، يتحقق ذلك للذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وليس الذين يتفخرون بأنسابهم، *فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى & .

فالذين يغترون بما يعملون ويفرحون بذلك ويتخيلون لأنفسهم محامد وأمجاداً ليسوا بمفازة من العذاب لأنهم يركنون إلى ما يتوهمون، فيكونون من الخاسرين أعمالاً، *إن الله لا يحب كل مختال فخور & ، فالتفاخر بالأولاد قد يفيد في الدنيا لكنه ظلم يضر في الآخرة،

ابليس تكبر وقال أنا خير منه وبالتالي فإنه اعترض على إكرام الله لآدم على أساس العنصر المكون لهما وليس على أساس الأعمال الصادرة منهما.

وقد تمادى بنو إسرائيل في ذلك حتى أنهم قدموا طاعتهم على طاعة الله، ولأن ذلك غير مقبول فقد فرضوا ذلك فرضاً أي فقد أجبروا الناس على أن يؤمنوا بالجبوت والطاغوت، وعندما فشلوا في ذلك فتحول شعورهم هذا إلى حقد على الناس فقابل الناس الحقد بالحقد، ونتيجة لذلك فإن التاريخ يشهد على ما تسببوا به لأنفسهم من ويلات ونكبات، وهذا ما تحاول الحركة الحوثية فعله.

فها هو خليل الله ابراهيم الذي يتنسب إليه النبي ^٨ يقول * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك & ، وقد عرف الله في القرآن المسلم بمن اسلم وجهه لله وهو محسن بغض النظر عن عرقه أو جنسه أو سلالته أو لغته، فالإسلام ليس حكراً على طائفة أو جماعة من الناس وإنما لمن يقبله من الناس أجمعين.

ولذلك فقد طلب خليل الله ابراهيم من الله أن يبعث عليهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم كلهم بدون تمييز أو تخصيص، وفعلاً فقد استجاب الله له ذلك فبعث نبيه محمداً ^٨ للعالم، * هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة & ، وبذلك فقد كان رحمة للعالمين، ولم يكن فقط رحمة لآل البيت كما تحاول الحركة الحوثية إيهام نفسها والمنخدعين بها بذلك.

وفعلاً فقد كان الإسلام رحمة للعالمين ولم يكن رحمة لذرية النبي [^] ولا لقريش ولا للعرب، بل لكل الناس، إنه ملك لكل الناس، فالمسلمون كلهم أمة واحدة، وقد جعلها الله أمة وسطا لتكون شاهدة على الأمم الأخرى ويكون الرسول وحده شاهداً عليها، *وكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً&، للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له ما لهم من شيء.

ولذلك فقد كان النبي [^] لينا متواضعا مع الناس.. ولذلك فقد رفض طلب سادات قريش بطرد المؤمنين من غير أصحاب الأنساب، لقد كرم الله بني آدم جميعاً إذ فضلهم على كثير ممن خلق، فأما فيما بينهم فإنهم كأفراد متساوون لأن الله قد خلقهم من نفس واحدة أي من ذكر وأنثى وقد جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا فيتحابون ويتعاونون ولا يتفاخرون بالأنساب، فالمفاضلة هنا هي مفاضلة فردية أي أن أكرمكم عند الله هو أكثركم تقوى، التقوى لا يعلمها إلا الله، فالذين آمنوا بالله ورسوله هم الصديقون والشهداء عند الله، *سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله&، ولا شك أن ذلك يتناقض شكلاً ومضموناً مع ما يمارسه قادة الحركة الحوثية.

لا شك أن ذلك في حد ذاته يدحض ادعاءهم أنهم الأعلم والأتقى، إنه يثبت الشعور بالاستعلاء والتكبر لديهم، إنه يعكس مدى ممارستهم للفظاظة، إن ذلك يعني أنهم

يعتقدون أن غيرهم من البشر لا يعلمون ولا يفهمون، وبالتالي فإنه لا قيمة لهم، ولا شك أن اعتقاداً كهذا هو نفس اعتقاد بني اسرائيل بأنفسهم وبغيرهم .

وبما أن العنصرية شر محض فإنها تضر حتى بمن تهدف لخدمتهم، والدليل على ذلك أنه لا يوجد اتفاق بين المنتمين لآل البيت حول الأفضل منهم، فلم تنجح كل المحاولات التي بذلت في سبيل ذلك، فهناك تناقض صارخ فيما ينقل من روايات حول ذلك.

فالتاريخ يثبت وبشكل قاطع بطلان مبررات العنصرية، إنه لم يسجل أي تميز لمن يدعي أنه من آل البيت على البشر الآخرين، وبشكل عام فإن مساهمتهم في التاريخ مماثلة لمساهمة غيرهم من السلالات الأخرى، ففيهم العلماء وغير العلماء وفيهم المتدينون وغير المتدينين وفيهم الأشرار والأخيار وفيهم الناجحون والفاشلون.

ولذلك فقد حان الوقت لصنم العنصرية أن يسقط وإلى الأبد، فلا مكان للخرافة في عصر العلم، فإن لم يقبل قادة الحركة الحوثية بذلك فهذا شأنهم، لكن عليهم أن يعلموا أنهم لن ينجحوا في تحقيق مآربهم، فلن يقبل اليمينيون من جديد أن يكون الحوثيون حكماً وهم رعايا ولا أن يكونوا سادة وهم عبيد، إنهم لن يقبلوا بأن يتنازلوا عن كرامتهم وحقوقهم تحت أي ظرف من الظروف، وعليهم أن يعلموا أن العالم لن يقبلوا بأي أفكار عنصرية مهما كان مصدرها.

إن عليهم أن يدركوا أنه لا يمكن خداع الناس، فالحقيقة لا بد وأن تظهر والوهم لا بد أن يختفي، فعلى الذين يسفكون دماءهم ودماء الآخرين أن يتوقفوا عن ذلك لأنكم

ستعضون أصابع الندم في الدنيا للآخرين، فمن يحب نفسه لا يمكن أن يكون نافعاً
لآخرين، ولذلك فإنهم إذا انتصروا فسيكون من ضحى لتحقيق ذلك أول ضحية لهم،
ومن لا يصدق ذلك فما عليه إلا أن يفكر بالمصير الذي آل إليه الرزامي ورفاقه، وسيكون
ذلك مصير الكثير من أتباع الحوثية، فهل تفيقون قبل فوات الأوان؟ نرجو من الله أن
يوفقكم لذلك.

من صور العنصرية:

- 1 - يتبنى الحوثيين الدعوة إلى الإمامة أي إحياء فكرة الوصاية للإمام علي بن أبي طالب
عليه السلام وان الحكم لا يصح إلا في أبناء علي عليه السلام.
- 2 - في كتاب الكافي الذي هو عندهم كصحيح البخاري يروون عن أبي عبد الله
الحسين عليه السلام أنه قال: "إن الله خلقنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده،
ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرفقة والرحمة، ووجهه الذي
يؤتى منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار
وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض،
وبعبادتنا عبد الله، ولولانا ما عبد الله"، جل الله وتقدس عن ذلك.
- 3 - عصبية مع الحسين بل اتباعاً للهوى والشيطان ويقولون: إن زيارة أضرحتهم
والحج إليها أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام، وهذا من الأمور البدهية في
مذهبهم وعقيدتهم. وفي كتاب الكافي الذي هو عند الرافضة كصحيح البخاري

عندنا: "إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة". بل بالغوا في ذلك حتى رووا عن أئمتهم أنهم قالوا: "من زار قبر أبي عبد الله كتب الله له ثمانين حجة مبرورة"، وفي رواية: "من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن حج مائة حجة مع رسول الله"، بل رووا: "من زار الحسين يوم عاشوراء حتى يظلّ عنده باكياً لقي الله عز وجل يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة وألفي ألف عمرة وألفي ألف غزوة، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله وآل بيته". بل حددوا الأفضلية لتكون في يوم عرفة يوم حج المسلمين، فرووا: "من أتى قبر الحسين يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبّلات". بل قالوا: إن كربلاء أفضل من الكعبة، وإن الله جعل لها حرماً آمناً كما جعل للكعبة حرماً آمناً؛ ولهذا وضعوا مناسك كمناسك الحج؛ لأن زيارة الأضرحة فرض من الفرائض عندهم. وفي هذه المناسك للمشاهد والأضرحة شرح لكيفية الطواف والصلاة عندها.

4 - أبطل ذات مرة بحكم قاضي متعصب للحوثي نكاح امرأة «هاشمية» تزوجت من «قبيلي» بدعوى عدم توافق النسب، وهو يذكرنا بالحكم الأمامي الذي قسّم أبناء اليمن إلى أشراف «السادة» وقضاة وقبائل ومزاينة وأخدام... الخ.

ولا طبقية في إسلامنا: أن يقسم البشر إلى طبقات ودرجات: وقد زوج النبي بنت عمته زينب بنت جحش من زيد بن حارثة العبد الذي يباع ويشترى وتقول عائشة رضي الله عنها: ما بعث رسول الله سرية فيها زيد إلا أمره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه.

نداء للهاشميين من آل البيت:

نتوجه برجاء حار إلى الهاشميين الذين يناصرون الحوثي بغير تفكير وتأمل إلى أن يناوأ بأنفسهم عن هذا المشروع المسيء لهم ولأسرهم، لأنهم بوقوفهم مع الحوثي يشوهون تاريخ أجدادهم عليهم السلام المجاهدين الثائرين على الظلم والظالمين، والعبيدين عن العنصريات والعصبيات، وألا يغرنهم دعاوي الحوثي انه على مذهب آل البيت والزيدية عليهم السلام، فالزيدية والبيت منهم براء، فالحوثيين انحرفوا فقهيا وعقديا عن الزيدية إلى المدرسة الجارودية المتشددة القريبة والمتقاطعة مع الإمامية (الاثناعشرية).

كما أن عناصر الحوثيين أذاقوا المواطنين في مناطق نفوذهم الكثير من الذل والقهر والاستعباد إضافة إلى سلوكياتهم التي ظهرت للجميع غير الأخلاقية، فبالله عليكم هل هذه أخلاق أتباع آل البيت الكرام العظماء؟ حاشا لله، ما هذه إلا أخلاق ميليشيات إرهاب وقتل لأغراض سياسية دنيئة.

ولقد اصدر علماء الزيدية في اليمن فتوى حرموا أفعال الحوثيين وعصابتهم ابتداء من الشيخ العلامة مجد الدين المؤيدي رحمه الله وطيب ثراه والعلامة السيد المنصور والعلامة

مفتي الجمهورية السيد حمود عباس المؤيد وغيرهم من فقهاء آل البيت الكرام حفظهم الله (١).

من أجل ذلك أقول إن هذه الفرقة سوف لن تنتهي إذا لم يتم مواجهتها بالفكر إلى جانب البندقية -حتى إذا حسم الجيش المعركة العسكرية مع الحوثيين وسحق هذه الشرذمة- وأكد أنه ستكون هناك تنازلات تقدم من قبل النظام الحاكم لمعتنقي هذا الفكر الجارودي، لكي يمارسوا نشاطهم بشكل سلمي، من جهة، وأيضاً سيكون هناك تضيق على الفكر السلفي، إرضاء للزيدية الجارودية. فهؤلاء الناس لا يمتقون في الدنيا شيئاً أكثر من مقتهم للسلفية ولا يهدفون لشيء قدر سعيهم للقضاء على الوهابية التي يعتبرها مراجع الجارودية عدوهم الرئيسي، ويزعمون أنها مؤامرة خارجية، وأنها بنت الاستعمار، ورأس حربته، بل هي في نظرهم أخطر من الاستعمار. وهم لا يختلفون في ذلك عن الشيعة الأثنى عشرية.

من جرائم الحوثي وأتباعه:

1- قتل الأنفس المحرمة والله سبحانه وتعالى يقول: *وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا & . فكم أزهقت بسبب الحوثي من أنفس وكم يتم من أطفال وكم رملت من نساء وكم هدمت من منازل ومن أبشع صور القتل التي مارسها الحوثيون صب الوقود "البنزين" على بعض الجرحى من

(١) الحوثية وتدمير الذات ، عبد العزيز الحسني ، صحيفة الأهالي ، العدد 22، 2011/11/220.

الجيش في منطقة رازح وإحراقهم بالنار وقتل الأطفال والنساء وحرق وجوه بعض القتلى بالاسيد.

2- قطع الطريق والإفساد في الأرض والله تبارك وتعالى يقول: ^{*}إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ & .

3 - يحملون فكر الخوارج الذين قال عنهم النبي [^]: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا ادر كتهم لاقتلنهم قتل عاد»(١)

4 - نهب الممتلكات العامة والخاصة وأمتعة بعض المسافرين.

5 - إجلاء الناس المخالفين لهم من ديارهم وارضهم بالقتل أو القهر والمعاهدة بعدم الرجوع إلى بيوتهم كما يفعل اليهود بسكان بيت المقدس كما قال تبارك وتعالى عن بني إسرائيل ^{*}ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ & .

6 - إحراق كتب الفقه الإسلامي ومصادرة السيارات التي تنقلها.

7 - انتهاك حرمة الأشهر الحرم وصد الحجاج عن بيت الله الحرام والله تبارك وتعالى يقول: ^{*}وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ & . وفي آية أخرى يقول تبارك وتعالى: ^{*}يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ & .

(١) متفق عليه.

8- هدم واخذ مساجد السنة وتحويل بعضها إلى سجون والله يقول: *وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ & ، فليحذر المسلمون من هذا الفكر الدخيل على يمن الإيمان والحكمة وليجاهدوه بأقلامهم وأيديهم ليحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر المجرمين والرافضة الأثمين والله ولي المؤمنين.

هذا وبالله التوفيق وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أُمِيرُ بَنِ مُحَمَّدٍ الْمَدْرِي

أمام وخطيب مسجد الإيمان

اليمن-عمران

2012/1/18م